

" ظاهرة اللون في شعر تميم البرغوثي، ديوان (في القدس) أنموذجاً.. دراسة دلالية"

اعداد

د/احمد مرزوق ناصر الشرعة

مدرس مركز اللغات الجامعة الهامشية الأردن

المستخلص:

يسعى الباحث من خلال هذه الورقيات إلى تلمس المعاني الكامنة وراء الألوان المستخدمة في شعر تميم البرغوثي، وخصوصاً في ديوانه " في القدس"، ولما للون من جمالية مضافة إلى روح الشعر، فإن الشاعر ذهب إلى أبعد من ذلك، وهو البحث عن الدلالات التي يتركها اللون في الشعر، وقد سار البحث ضمن منهجية الوصف والاستقراء وتحليل الألوان في النصوص الشعرية وفق دراسة دلالية، وقد جاءت هذه الدراسة في ثلاثة فصول وخاتمة، أما الفصل الأول تحدثت فيه الدراسة عن الشاعر ومنجزاته الشعرية، وأما الفصل الثاني تمثل بالجانب النظري حول اللون ودلالته عند القدماء والمحدثين، وأما الفصل الثالث تمثل بالجانب التطبيقي حول استعمال الشاعر للألوان، وتوظيفها في النص الشعري، ومحاولة الدراسة للكشف عن أبرز الدلالات التي خرج بها اللون في القصيدة، ثم انتهى البحث بخاتمة أوجزت فيها الدراسة أبرز ما توصلت إليها، وهي: أن اللون له أثر بالغ في إكساب النص معاني مختلفة، منها بث روح الحيوية في النص.

الكلمات المفتاحية: اللون الدلالة، الشعر، تميم البرغوثي.



"The Phenomenon of Color in Tamim Barghouti's Poetry, Diwan in Jerusalem (An Example). A semantic study"

ABSTRACT:

The researcher seeks through these leaflets to touch the meanings behind the colors used in the poetry of Tamim Barghouti, especially in his diwan "In Jerusalem", and because the color has an aesthetic added to the spirit of **poetry**, the poet went further than that, which is the search for the connotations that color leaves in poetry, and the research followed the methodology of description, induction, and analysis of colors in poetic texts according to a semantic study, and this study came in three chapters The first chapter in which the study talked about the poet and his poetic achievements, the second chapter represented the theoretical aspect about the color and its significance among the ancients and moderns, and the third chapter represented the applied aspect about the poet's use of colors, their employment in the poetic text, and the study's attempt to reveal the most prominent connotations that the color leaves in the poem, then the research ended with a conclusion in which the study summarized the most important findings, namely: That color has a great impact in giving the text different meanings, including the spirit of vitality in the text.

Keywords: Color , Significance , Poetry , Tamim Barghou

تقديم :

الحمد لله رب العالمين، المتفضل على الإنسان بالعقل والدين، والمسبغ عليه نعمه الكثيرة، الظاهرة والباطنة، أما بعد:

إن دراسة ظاهرة اللون في الشعر لم تعد القضية ذات السبق الجديد، بل أصبحت مطروحة عند كثير من الدارسين، لكن الدراسات تختلف تبعاً لاختلاف الشعراء، فاللون في الشعر أصبح كالعجينة - إن جاز التعبير - يشكله بحسب رؤيته في النص.

ويبقى للمتلقي دور في تلقي هذه الظاهرة ومعالجتها على نحو ما يفهم من النص، فالنص الشعري لا يحمل معان ثابتة، بل هو مشروع الأبواب لكل من هم بالتحليل وسبر الأغوار والولوج إلى مكانه.

ولقد آثرت الحديث عن هذه الظاهرة عند شاعر حديث، وهو الشاعر تميم البرغوثي ابن الشاعر والأديب الفلسطيني مريد البرغوثي وابن الأديبة المصرية رضوى عاشور، لأنني لم أجد أحداً قد تطرق إليها عنده.

فلا غرابة أن اللون في الشعر يحمل دلالة تخدم النص في المقام الأول، وتعطيه جمالية تربط اللفظة بواقعها المنطوق، وتبرز المعنى بشكل أكد في النفس.

هيكل الدراسة:

وقد جاءت هذه الدراسة في ثلاثة فصول وخاتمة، أما الفصل الأول تحدثت فيه الدراسة عن الشاعر ومنجزاته الشعرية، وأما الفصل الثاني تمثل بالجانب النظري حول اللون ودلالاته عند القدماء والمحدثين، وأما الفصل الثالث تمثل بالجانب التطبيقي حول استعمال الشاعر للألوان، وتوظيفها في النص الشعري، ومحاولة الدراسة للكشف عن أبرز الدلالات التي خرج بها اللون في القصيدة، ثم انتهى البحث بخاتمة أوجزت فيها الدراسة أبرز ما توصلت إليها.

أما عن **عينة الدراسة**، والتي ستكون ميدان البحث عن هذه الألوان، ديوان " في القدس " .

وأخيراً... تأتي هذه الدراسة كمحاولة بسيطة للكشف عن مكونات اللون في شعر تميم البرغوثي، وكيف يعطي اللون حياة للقصيدة، والله من وراء القصد.

● مشكلة الدراسة: البحث عن الدلالات المنتجة من استخدام البرغوثي للألوان في ديوان "في القدس".

● أسئلة الدراسة:

- كيف استثمر البرغوثي الألوان في شعره؟
- ما الدلالات المنتجة من استخدام تلك الألوان؟

● فرضيات الدراسة:

- استخدم الشاعر الألوان ووظفها في دراسته بما ينسجم مع الحالة الشعورية.
- خرجت تلك الألوان بدلالات مختلفة.

● الدراسات السابقة:

لم يقع الباحث في حدود معرفته على دراسات انصبت حول دلالة اللون في شعر تميم البرغوثي، وخصوصاً في ديوان "في القدس"

الفصل الأول : نبذة عن تميم البرغوثي

- مولده ونشأته

" وُلد تميم في القاهرة عام ١٩٧٧ لأديبين كبيرين هما الشاعر الفلسطيني مريد البرغوثي والروائية المصرية رضوى عاشور. طُرد والد تميم من مصر بعد أربعة أشهر من ولادة ابنه، وذلك بعد أن شرعت الحكومة المصرية في عملية سلام مع إسرائيل وطردت معظم الفلسطينيين من مصر.

لم يُسمح لوالده بالعودة إلى مصر حتى عام ١٩٩٥. ولم يشاهد الأب ابنه في هذه الأثناء إلا خلال عطلات الشتاء لمدة لا تزيد عن ثلاثة أسابيع في بودابست، حيث عاش هناك في المنفى لمدة ثمانية عشر عامًا.

تعلم تميم في بودابست اللغة الهنغارية، كما اكتسب تميم خلال تعليمه في القاهرة قدرًا ممتاز من اللغة الإنجليزية والقليل من اللغتين الفرنسية والإيطالية. انخرط تميم منذ الطفولة في الواقع

السياسي للعالم العربي، بالطريقة التي تؤثر على الجوانب الشخصية لحياة الفرد، وكذلك في الوسائل الأدبية للتعبير عنها. وقد نشر قصيدته الأولى عندما كان عمره ١٨ عامًا.

حصل على درجة البكالوريوس في العلوم السياسية من جامعة القاهرة عام ١٩٩٩، وتخصص أيضًا في العلاقات الدولية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة وتخرج منها عام ٢٠٠١.

لطالما كانت الموسيقى جزءًا من حياة تميم، حيث حصل على لعبة على شكل آلة العود في عيد ميلاده الثالث، وسرعان ما مهدت هذه اللعبة الطريق له لتعلم العزف فيما بعد. في عامي ١٩٩٦ و ١٩٩٧، حصل على جائزة الموسيقى من أعضاء هيئة التدريس في جامعة القاهرة، كما منحته الكلية جائزة الشعر في عام ١٩٩٨. فاز تميم أيضًا في نفس العام بالميدالية الشعرية من المعهد العالي للفنون التطبيقية. وفي عام ٢٠٠٠، حصل على جائزة الشعر للمؤسسة الثقافية الإقليمية في مراكش، المغرب.

درس تميم السياسة في جامعة القاهرة، والجامعة الأمريكية بالقاهرة، وجامعة بوسطن، وحصل على درجة الدكتوراه في العلوم السياسية. وقد كتب مجلدين عن التاريخ والفكر السياسي، وهو حاليًا أستاذًا للدراسات السياسية في جامعة جورج تاون.

وفي عام ١٩٩٩، تمكن من العودة إلى فلسطين وكانت هذه زيارته الأولى لها في سن الـ ٢٢ عامًا. وكتب هناك أول مجموعة شعرية (ديوان) له وتُدعى "ميجانا" باللهجة الفلسطينية ونشرها في رام الله. وبعدها بفترة وجيزة، نشر مجموعته الثانية وهي "المُنذر"، وقد كتبها باللهجة المصرية وقام بتأليفها أثناء تواجده في القاهرة. وفي عام ٢٠٠٣، عشية الغزو الأمريكي للعراق، غادر البرغوثي مصر في مواجهة الحرب وموقف الحكومة المصرية. وأسفرت تلك التجربة عن تأليفه لعملين آخرين اكتسب بسببهما الكثير من الشهرة في مصر والعالم العربي، أولهما "قالولي: بتحب مصر؟"، وكُتبت باللهجة المصرية، وثانيهما "مقام العراق" وقد حظي العملان بقبول جيد من الجمهور والنقاد معًا. ووصف أحد النقاد "مقام العراق" بأنه تحفة عربية كلاسيكية، ديوان مطول يشبه الملحمة في العراق، ويضم مجموعة متنوعة من الأساليب الفنية: كالأغنية والسرد والنثر وغيرهم والتي جعلت من البرغوثي أستاذًا في اللغة العربية وتاريخها.

في عام ٢٠٠٧، أصبح عمل تميم الأدبي "في القدس" قصيدةً شعبيةً يتداولها الناس في الشوارع والميادين. وصفت الصحف الفلسطينية تميم آنذاك بأنه "شاعر القدس". وكانت تُعلق ملصقاته على جدران شوارع القدس وغيرها من المدن الفلسطينية، وكانت تُباع سلاسل المفاتيح مع صورته عليها. حتى أصبحت مقاطع القصيدة نغمات رنين الهواتف النقالة في العالم العربي أجمع، ويتنافس الأطفال في حفظها وترديدها. تصف القصيدة رحلة مجهولة إلى مدينة القدس، وأصبحت جزءاً أساسياً من العروض الفنية في نابلس ورام الله والخليل وبيت لحم وأريحا وعمان وبيروت ومسقط وبرلين ولاهاي وفيينا وغيرهم.

قام بتقديم شعره في جامعة القاهرة، والجامعة الأمريكية بالقاهرة، ومسرح هانغير بالقاهرة، ودار الشعر في عمان في الأردن، وفي قرية دير غسانة مسقط رأس والده في فلسطين. وقد شبهه أحد الفلسطينيين بوالده عندما وقف في ساحة القرية مخاطباً القرويين المجتمعين بشعره. يصف والده مريد البرغوثي هذا المشهد في كتابه "أيت رام الله" والذي تم ترجمته إلى اللغة الإنجليزية عام ٢٠٠٠. كما شارك تميم في مهرجان الشعر العالمي والذي أُقيم في روتردام عام ٢٠٠١. في ٢٦ كانون الثاني/يناير ٢٠١١، وبعد يومٍ واحدٍ من اندلاع الثورة المصرية التي أطاحت بالرئيس الأسبق حسني مبارك، كتب البرغوثي قصيدة "يا مصر هانت". وقام بإرسال القصيدة عبر الإنترنت إلى إحدى الصحف المحلية لنشرها، كما ورّعت نسخٌ منها في ميدان التحرير. ثم طلبت قناة الجزيرة من تميم تسجيل القصيدة بصوته. وكان من المفترض أن يتم بث هذا التسجيل كل ساعتين على شاشات العرض في ميدان التحرير، مما يساعد على اشتعال الاحتجاجات أكثر. وفي يوم ٢٧ كانون الثاني/يناير وبناءً على طلب صحيفة الغارديان، أرسل البرغوثي تعليقاً على الأحداث التي مر بها العالم العربي آنذاك، ثم نُشرَ هذا التعليق في اليوم التالي حيث قال فيه: "سوف أخطر بأن أقول أن النظام المصري قد سقط بالفعل: قد يستغرق الأمر بعض الوقت، إن الخوف قد زال، وهذا التصور عن النظام الذي لا يُفهرّ ذهب إلى الأبد. إن أي انتفاضة في المستقبل لن توجه ضد الاحتلال فحسب، بل أيضاً ضد أي كيانٍ فلسطيني يتعاون مع الاحتلال. لقد أرسلت تونس رسالة مفادها أن أنظمة العملاء تسقط وأنه إذا استطعنا قيادة الإمبراطوريات، فسوف نكون قادرين بالتأكيد على إخراج قواتهم من أراضينا."

أما من حيث ديانة تميم البرغوثي ومعتقداته وطائفته الأصلية ، فقد ولد لعائلة مسلمة سنية^(١). ووصفه أحد الكتاب في مقال نشر قبل أشهر بعنوان " تميم البرغوثي بقايا المتنبي في هذا الزمن ، إذ شده شعره القوي فيقول" كل شيء في هذا العالم يتطور يوماً بعد يوم، وأغلب العلوم شهدت تحولات رهيبية وتقدم ملحوظ عما كانت عليه في السابق، إن كان في الطب أو الهندسة أو التكنولوجيا والاتصالات، ولكن الشعر كان يسير عكس التيار فكلمنا مرّت حقبة زمنية نجد مستوى الشعر أقل من سابقتها، ولعلنا كعرب حقّ لنا أن نفتخر أننا أسياد هذا الكار منذ قرون كثيرة، فمن مغلقات الجاهلية الزاخرة بجواهر المعاني والمفردات التي كان ينظمها فرسان الشعر في ذلك العصر كأمرؤ القيس وعنترة وزهير بن أبي سلمى وغيرهم الكثير، إلى شعراء بداية عهد الإسلام كحسان بن ثابت وكعب بن زهير وعبدالله بن رواحة. وإن كان الشعر قد أخذ استراحة المحارب في صدر الإسلام لانشغال الناس بالدين وقتها إلا أنه عاد وانتفض مرة أخرى في الدولة الأموية وبرز شعراء كثر كالفرزدق وجريير وبشار بن برد، ثم تلاً الشعر في العصر العباسي وتطور تطوراً ملحوظاً وأنجب لنا ذلك العصر كوكبة من الشعراء الأفاضل كان على رأسهم معجزة زمانه وكل الأزمنة أبو الطيب المتنبي، الذي كان له روح شعرية خاصة، وكان ملك الكلمة والقافية بلا منازع، وبقي العرب منذ ذلك الوقت يستمتعون بما نظم المتنبي حتى يومنا هذا، وقد كنت منذ الطفولة أقرأ أشعار المتنبي وغيره وأمني النفس كما الكثير غيري برؤية شعراء معاصرين تكون لأرواحهم الشعرية لقاءات ولو على استحياء بروح المتنبي الشعرية أو يمسون جانباً من لغويته الفريدة، ولعلّ شاعر الرافدين محمد مهدي الجواهري كان له بعض من ذلك نراه أحياناً بين قصائده، إلى أن جاء يوم منذ سنوات شاهدت فيه ذلك الفيديو لشاب يلقي قصيدة أمام الجمهور يتكلم بها عن القدس، كان ذلك الشاب هو تميم البرغوثي. شدتني تلك الكلمات من بداية القصيدة إلى نهايتها، وقد كان ذلك العبقرى الوحيد الذي جعلني أستمع لقصيدة وأحضر عرضاً مسرحياً ملحمياً في آن معاً، لا بل أنني كنت أشاهد وأنا أستمع لكلماته فلمين أحدهما سينمائي درامي يتحدث عن بطولة المقدسيين وصمودهم، والآخر وثائقي تاريخي يتكلم عن جمال القدس العتيقة وتاريخها،

^١ - <https://www.arageek.com/bio/tamim-al-barghouthi> تم أخذ المعلومات عن الشاعر تميم البرغوثي

من هذا الموقع

وتعجبت كثيراً أن يكون كل ذلك في قصيدة شعرية، وقد لمست في كلمات تميم ما لم ألمسه بكلمات غيره مما تغنى بالقدس وجمالها، وكانت تلك الأبيات تهوي على مسامعي كأنها ممزوجة بتراب القدس وتحمل في سطورها نفحة من شذاها، واعترف أنني كلما انتابني الإحباط من صمت أمتنا تجاه قضيته الأولى كنت أستمع لتلك الأبيات لأخذ جرعة من الأمل الثوري الذي نفتقده، واسافر معها إلى ربوع القدس التي لم أرها في حياتي لكنني رأيتها حقيقة في شعر تميم^(١).

المبحث الثاني: دلالات الألوان بين القديم والحديث

" اللون لغة فهو هيئة كالسواد والحمرة، ولون كل شيء ما فصل بينه وبين غيره والجمع ألوان " ^(٢).

وأما اللون كما عرفه العلماء هو " نتيجة إحساس العين بالموجات المختلفة، فحينما ينعكس الضوء على جسم ما فإنه يمتص بعض موجات هذا الضوء ويرد بعضه، وهذا الجزء المردود يؤثر في خلايا العين فتحس باللون وتدركه"^(٣).

والشاعر كالرسام يلجأ للون كوسيلة للتعبير عن العمق الفكري والجوهري لديه، إذ يستطيع من خلال اللون أن يوصل للمتلقي جمالية النص، بل إن "الصور والألوان تنطلق من جوانية الشاعر، وخبرته البصرية، ووعيه التاريخي، وحفريات الأسطورية، وتجربته النقدية، وتجواله ومشاهداته التشكيلية، وتتنوع اهتماماته بين الفنون، بحيث تصبح الصورة ليست مجرد أداة للمعرفة فحسب، وإنما أداة للحرية أيضاً"^(٤).

ولعل استخدام اللون في الشعر الحديث يأتي ضمن رؤية شعرية أبعدت اللون عن بعده الحقيقي الملموس، إلى أبعاد أخرى ضمن أطر مختلفة تحكم هذا اللون، فقد يكون الإطار سياسياً، وقد يكون اجتماعياً، وقد يكون عاطفياً... إلخ.

فدلالات اللون المدروسة في الشعر الحديث جاءت مركزة على قطعة فنية من عمل شاعر معين يصبو من خلالها الباحث إلى تبيان مدلول معين من وجهة نظره.

1_

<https://blogs.aljazeera.net/blogs/2019/11/25/%D8%AA%D9%85%D9%8A%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B1%D8%BA%D9%88%D8%AB%D9%8A-%D8%A8%D9%82%D8%A7%D9%8A%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AA%D9%86%D8%A8%D9%8A-%D9%81%D9%8A-%D9%87%D8%B0%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D8%B2%D9%85%D9%86>

مقال للكاتب محمد الكايد عن تميم البرغوثي ووصفه في هذا المقال بأنه بقايا المتنبي في هذا العصر

٢ - معجم لسان العرب، مادة (لون)، ابن منظور، ج ١٣، ص ٣٩٣

٣ - الرسم واللون، محيي طالو، ص ١٦٣

٤ - المعجم اللوني في شعر عز الدين المناصرة، حسين نشوان، ص ١٢٦

ويفرض اللون تدخله في طبيعة النفس البشرية لذلك "إن دلالة اللون تتغير تبعا للأثر النفسي، وذلك لأن العقل يقوم بتنظيم الرؤيا مستنسا بالخيال والتفكير، والتغير والتحول الذي يتصل بمراحل نمو اللون، ويترك أثره على الجانب النفسي للإنسان. كتغيير اللون ، الذي يحدث أثناء أوقات النهار بين صبح وليل، وشروق وغروب،، وأصيل وغسق"^(١).

ولذلك يمكن لنا أن نفسر سبب سرورنا البالغ حين يأتي فصل الربيع، إذ إن لون العشب الأخضر يبعث السرور في النفس، وكذلك الذهاب إلى البحر والاستمتاع بمنظره، فبعض الألوان تغير من طبيعة النفس البشرية، وينعكس بذلك على طبيعة كلامه.

و مما لا شك فيه أن طبيعة الألوان اختلفت عبر العصور، ولعل تفاعل الإنسان مع موجودات الطبيعة ولد العديد من الألوان وأضفى البهجة والفرح، واستخدام الألوان مختلف بحسب موجودات الحياة ، وطرق استخدام الإنسان لها، فقد" تستخدم اللغات ألفاظ الألوان استخدامات مجازية قد يشيع بعضها ويجري مجرى الأمثال، كما أنها عن طريق المعاني الرمزية أو الإيحائية للألوان تستخدم ألفاظها في تعبيرات لغوية، ولا يفهم معناها بمجرد فهم مفرداتها، إذ تصبح تركيبيا موحدا ذا تركيب خاص"^(٢). ولعل اللون لا يبقى وفيا لمعناه الواحد، بل قد تتعدد استعمالته عبر العصور، فهو أشبه باللفظة التي لا يبقى استخدامها ثابتا عبر العصور، بل يتغير معناها وفقا لمعطيات العصر، فلو أخذنا على سبيل المثال اللون الأبيض، فقد" ورد اللون الأبيض في تعبيرات قديمة وحديثة مثل:

- ١- إطلاق الأبيض على السيف.
- ٢- وصف الأرض بأنها بيضاء، إذا كانت ملساء لا نبت فيها.
- ٣- وصف الموت بأنه أبيض إذا أتى فجأة لم يسبقه مرض يغير اللون.
- ٤- صحيفته بيضاء: ذات سمعة طيبة ولا مغمز عليه.
- ٥- كذبة بيضاء: لا ضرر فيها.
- ٦- الراية البيضاء: الاستسلام والطاعة.

وقد ورد اللفظ في الاستعمال العربي القديم : فقالوا الأبيضان، فقصدوا بهما الماء والحنطة، أو عرقي الوريد، أو عرقي البطن لبياضهما، أو الشحم والشيب، أو الخبز والماء، أو الشحم واللبن"^(٣).

١ - الصورة الشعرية واستحياء الألوان، يوسف حسن نوفل، ص ٢٥

٢ - اللغة واللون، ص ٦٩

٣ - المصدر السابق، ص ٧٠

" وقد خضعت اللغة العربية في تاريخها الطويل لتطورات تتعلق بألفاظ ألوانها الأساسية فكانت خمسة ألوان: الأبيض والأسود والأحمر والأصفر والأخضر، ثم أصبحت تسعة هي السابقة بالإضافة إلى الأزرق والأدكن (البنّي) والأرمد (الرمادي) والأسمر. وزادت كثيرا في العصر الحديث، حتى شملت ألفاظا مثل: البرتقالي، والأورجواني... .

ومن يتابع ألفاظ الألوان في معاجمنا العربية يجد تداخلا غريبا بينها، سمح باستخدام الأزرق بمعنى الأبيض، والأخضر، واطلاق الأصفر والأخضر على الأسود، واطلاق الأحمر على الأبيض والأصفر" (١).

والاهتمام بدراسة الألوان ليس حديثا "ففي نهاية القرن الرابع الهجري ظهر اهتمام أكبر بدراسة اللون، فقد وضع النمري معجماً في الألوان أسماء (الملمع)، وذكر فيه خمسة ألوان (الأبيض، والأسود، والأحمر، والأصفر، والأخضر) وحرص المؤلف على تحديد معاني الألوان بنصوص وشواهد شعرية اختار أكثرها من أشعار الفحول من شعراء الجاهلية والإسلام" (٢). وهكذا بقية الألوان تحفل بقيم مختلفة عبر العصور، ودلالة اللون تختلف بين القديم والحديث، وذلك تبعاً لموجودات كل العصر.

وقيمة اللون تبدو جلية حين تتناغم مع المعنى المراد في الشعر، وحين يخرج اللون عن إطاره الحقيقي، فاللون يشبه الكلمة حين تخرج عن مقتضاها لتقدم صورة شعرية تنبض بالحياة.

ثالثاً : الجانب التطبيقي / ديوان في القدس

حفل ديوان " في القدس " لتميم البرغوثي بعدد لا بأس به من الألوان، كالأبيض والأسود والأزرق، وأحيانا كانت ترد كلمات بمعنى اللون ، الليل مثلا يشير إلى السواد، السماء تشير إلى اللون الأزرق، فاللون قد يختبئ خلف هذه الكلمات.

ولعل اللون الأكثر استعمالا في الديوان، هو اللون الأبيض، واستعمله الشاعر بتقنيات عدة، فلم يأت اللون على وتيرة واحدة، وإنما جاء مليبا لرؤية الشاعر في النص الشعري.

ولم يخرج الشاعر عن استخدام اللون الأبيض عن استعمالات العرب، بل وظفه بما يخدم العبارة الشعرية.

١ - ألفاظ الألوان في اللغة العربية، أحمد مختار عمر، ص ٩
٢ - اللون ودلالاته في شعر البحترى (رسالة ماجستير)، نصره شحادة ، ص ٢

واستخدم الشاعر اللون بصيغته الصرفية أحيانا، واستخدمه بصيغته الفعلية أحيانا أخرى، وربما يكون السبب هو أن الصفة ألصق من الفعلية، فالفعلية قابلة للتغير، أما الصفة فهي محمولة على الثبات.

يقول الشاعر في قصيدة (في القدس):

"في القدس أعمدة الرخام الداكنات

كأن تعريق الرخام دخان"^(١)

اللون الداكن احدى درجات اللون البني ، ويشير إلى قدم الأعمدة وأصالتها، بل وتصبح الخطوط الدخانية جزءا من منظومة لون الأعمدة. فحل الدخان مقام اللون الأسود .

ثم يشير بعد ذلك إلى أن اللون لم يعد مجرد لون يغطي به السطح، بل أصبح منقوشا ولصيقا به، إذ يقول في قصيدته (في القدس):

".... أمسكت بيد الصبح

تريه كيف النقش بالألوان"^(٢)

ثم يذكر لنا أحيانا استخدام اللون ضمن الموروث الشعبي، مثل استخدام اللون الأزرق ، ومظنة أن صاحب العيون الزرقاء له دور في الحسد والإصابة بالعين، مما يسبب الخوف لدى البعض .. يقول الشاعر في قصيدته (في القدس):

"فخاف أميرها من زرقه في عينه اليسرى"^(٣)

ولم يكن اللون الأزرق دائما بهذا السوء عند شاعرنا، فأحيانا كان يذكره لصيقا بالسماء، وربما كان يحمل اللون الأزرق لديه معنى الفسحة والأمل، لذلك تراه يخص نفسه بسماء دون غيره، لها نظامها الخاص الصبح فيها يشبه المساء، إذ يقول في قصيدة (أنا لي سماء كالسماء):

"أنا لي سماء كالسماء صغيرة زرقاء

تاريخها متكرر كالصبح فيها المساء"^(١)

١ - ديوان في القدس، تميم البرغوثي، ص ١٠

٢ - المصدر السابق، ص ١٠

٣ - المصدر السابق، ص ١٠

إن استخدام لفظتي الصبح/ والمساء، تعبران أيضا عن لونين خفيين ، فالمجيء بالطباق بين اللفظتين لأن كل واحدة تظهر الأخرى، فالصباح لون فاتح يحمل الأمل والنشاط، بينما المساء وقت الانتهاء من العمل، ولكن حينما تعقد علاقة المشابهة بين الضدين يصبح المساء والصبح أمرا واحدا، لا تغيير فيه، وهكذا هو التاريخ الذي يعيشه الشاعر متكرر لا جديد فيه.

ثم إن هذه السماء منكوبة – من وجهة نظر الشاعر- تطير فيها الطائرات المحملة بالموت (أزرق العينين) يرفل بالحديد، إذ يقول في قصيدة (أنا لي سماء كالسماء):

"وإذا أنتها الطائرات بكل موت أزرق العينين يرفل في الحديد"^(٢)

إن وصف الموت بأنه ذي عينين زرقاوين مبعث على الشؤم، فيعود الشاعر مرة أخرى إلى ذكر هذه الصفة والتي يقصد من خلالها أن الموت سبب الفرقة بين الأحياء. ويخاطب الشاعر السماء، ويناديه مباشرة بصفتها اللونية، فتحل الصفة مقام الموصوف، فيقول في قصيدة " قبلي ما بين عينينا اعتذرا يا سماء":

"اسمعي يا هذه الزرقاء

يا بيت القضاء"^(٣)

ثم ينتقل شاعرنا إلى موضع آخر حين وصف " المصور " في قصيدته (لا شيء جذريا)، إذ يقول:

"ويخفف المصور الأبدى الضوء عن مبانيها الشاهقة

ويضيء الفئران وأكياس القمامة السوداء

ويشكل نفسه كلمات بيضاء على لوحة زرقاء"^(٤)

إن التفنن في استخدام تقنيات اللون في هذه المقطوعة، أعطاهما حيوية، إذ يقدم قدرة المصور على التصوير محكومة بالضعف والهوان، فتخفيف الضوء عن المباني الشاهقة فيه استسلام وبعد عن العلو والرقي، وتسليطه الضوء على الفئران وأكياس القمامة السوداء فيه انحطاط ودونية وخذلان، واللون الأسود التي وصمت به الأكياس دليل على العتمة التي يقبع بها المصور.

١ - المصدر السابق، ص ٢١

٢ - المصدر السابق، ص ٢٢

٣ - المصدر السابق، ص ١٠١

٤ - المصدر السابق، ص ٤٩

ثم يقول إن هذا المصور يحاول تشكيل نفسه بكلمات بيضاء، على لوحة زرقاء، واختيار اللون الأزرق - ربما هنا- محاولة لإظهار البياض في نصاعته.

ويقول عن اجتماع الأبيض مع الأسود رابطا إياه بعام النكبة، وعادة ما تشير الصورة بالأبيض والأسود، إلى القدم والعراقة، ولكن أظن أن اجتماع الأبيض والأسود في الصورة عند الشاعر ربما أشار إلى صراع الحق والباطل، خصوصا وأنه أشار إلى عام نكبة فلسطين، فيقول في قصيدة "الجيل":

"جيل هو الشيخ في الصورة الأبدية

بيضاء سوداء من عام نكبته في المعارض والندوات"^(١)

ثم يستخدم الصيغة الفعلية للون الأبيض - (أبيض/ تبيض) . وكذلك الفعل (أسود)، فالدلالة الفعلية قائمة على التحول والتغير، يقول في قصيدة (خط على القبر المؤقت):

"ما تبيض بالقمر الليلي ولكن هنَّ حين يغيب سود"^(٢)

لا يرجع الشاعر الفضل للقمر على أنه مبعث للبياض الذي ينعكس على الليلي، ولكنه يناقض نفسه حين يجعل من غياب القمر سببا في اسوداد الليلي، وهذا التناقض الذي أحدثه الشاعر من خلال طرفي النقيض (البياض والسواد) يحمل في طياته رموزا عدة، منها: القمر: العلو والارتفاع والمكانة والرفعة / الليلي: النوائب والمصائب، قال الشافعي:

ولا تجزع لحادثة الليلي فما لحواث الدنيا بقاء

وقول البرغوثي يتفق تقريبا مع قول الشاعر أبي فراس الحمداني:

سيذكرني قومي إذا جدَّ جدهم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

إلا أن أبو فراس الحمداني افتخر بنفسه، والبرغوثي أشار إلى أمر مختلف.

ويحمل اللون الأبيض دلالات التقاعس والاسترخاء عند الشاعر، كما في قوله معنفا العرب في قصيدته (حصافة):

"يا أيها اللاهون بالدهداشة البيضاء يا بييض النعام"^(١)

١ - المصدر السابق، ص ١٧

٢ - المصدر السابق، ص ٦٧

كان نداء الشاعر قائما على التعنيف، ولعل استخدام لفظة " الدشداشة" تشير إلى لباس يكون خارج نطاق العمل، وهو لباس بيتي للراحة، والبياض صفة الخلو من المسؤولية، ووصم العرب كذلك بـ" بيض النعام" يقصد بها ربما بالجيل القادم الذي نشأ من جيل النعام، والنعام طائر يرمز للغباء رغم ضخامته، فهو يدفن رأسه في الرمل حين يرى عدوه، فيشير بذلك من خلال هذا الوصف إلى التقاعس عند العرب.

ويقول في موضع آخر في قصيدة (الأمر):

"خيل رمت أوزارها في الريح ثم تراكبت موجاتها بيضا ذراها"^(٢)

الخيل عند العرب رمز للقتال، لكن حين ترمي أوزارها، فهذا يعني أنه لم تعد صالحة لهذا الغرض، حتى ذراها أصبحت بيضاء خالية من مظاهر القتال، فالبياض أخذ اتجاه مختلفا عند الشاعر عما قبل، فالبياض هنا أصبح رمزا للخلو والتقاعس.

أما عن السواد واللون الأسود، فلم تخلُ قصائد البرغوثي منه، فالسواد علامة أشار إليها صراحة إلى الثأر، إذ يقول في قصيدته (أمير المؤمنين):

"ثم إن العرب إذا طلبت الثأر تعممت بالسواد"^(٣)

ويعبر أيضا بالسواد عن الحزن والحداد ، فيقول في قصيدته (سفينة نوح):

"زهور المروج تصلي عليك

تصلي عليك التي انتشحت بالسواد"^(٤)

فدلالة السواد في هذا المقطع تختلف تماما عن دلالاته في المقطع السابق، فهي هنا للحزن ، أما هناك فهي للثأر. فتقنية استخدام اللون مبنية على طبيعة الحدث، ورؤية الشاعر.

واستخدم الشاعر أحيانا ألفاظا بمعنى اللون كالظلام ، والدخان، واللهب ، والشيب ، وهذه الألفاظ تحمل قيمة اللون بشكل أو بآخر بطريقة أقرب للصورة الفنية، فنحن أمام رسام أبدع في كل لوحاته الشعرية.

١ - المصدر السابق، ٩٦

٢ - المصدر السابق، ص ٩١

٣ - المصدر السابق، ص ٧٨

٤ - المصدر السابق، ص ٨٧

فيقول مثلاً في قصيدة (أمر طبيعي):

"يا أمة الغار ما حتم علينا أن نحب ظلامه

في أفق تلون بالنداوة والذهب" (١)

يشير الشاعر من خلال المقطع الشعري السابق وهو ينفي حب الظلام، ولعل ذلك أمر طبيعي- كما عنون قصيدته- فمن الطبيعي جداً أن النفس البشرية لا تألف الظلام، بل على العكس تحب النور، فالظلام الذي حل بالأمة العربية – والتي أشار إليها بأمة الغار- هو الاستعمار- وهذا الاستعمار أفاقه لهب حارق لا يأتي بخير رغم الندوة التي يأتي بها .

وأخيراً...

إن استخدام تقنية اللون في شعر البرغوثي جاءت مقصودة ، ليس فقط لبث روح الحيوية في شعره فحسب، وإنما لإظهار المعاني الكامنة في نفس الشاعر، فاستخدام اللون في اللغة الشعرية يشبه استخدام الألوان في الرسم، إذ لا يأتي بشكل عبثي.

وآمل أن تكون هذه الدراسة قد قدمت – ولو ومضات بسيطة- لاستخدام الشاعر تقنية اللون في شعره، والله من وراء القصد.

قائمة المصادر والمراجع

١- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي المتوفى: (٧١١هـ). (

معجم لسان العرب، (١٤١٤هـ) ج ١٣ - طبعة : دار صادر- بيروت، الطبعة الثالثة .

٢- البرغوثي، تميم ، ديوان (في القدس)، دار الشروق.

٣- مختار عمر، أحمد ، (١٩٩٧)، اللغة واللون، عالم الكتب، مصر- القاهرة ، الطبعة الثانية.

٤- مختار عمر، أحمد ، ألفاظ الألوان في اللغة العربية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد الأول (ص٩-ص٢٩).

١ - المصدر السابق، ص ٦٠



٥-شهادة، نصره، (٢٠١٣)، اللون ودلالته في شعر البحتري(رسالة ماجستير)، إشراف: الدكتور حسام التميمي، ٢٠١٣.

٦-طالو، محيي الدين، (١٩٦١)،الرسم واللون، دار دمشق، د.ط.

٧- نشوان، حسين، (٢٠٠٤)،المعجم اللوني في شعر عز الدين المناصرة، مجلة أفكار ، وزارة الثقافة – الأردن ، ع ١٨٩- تموز.

٨-نوفل، يوسف حسن،(١٩٨٥)، الصورة الشعرية واستيحاء الألوان، دار النهضة العربية.

٩-<https://www.arageek.com/bio/tamim-al-barghouti>

١٠-

<https://blogs.aljazeera.net/blogs/2019/11/25/%D8%AA%D9%85%D9%8A%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B1%D8%BA%D9%88%D8%AB%D9%8A-%D8%A8%D9%82%D8%A7%D9%8A%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AA%D9%86%D8%A8%D9%8A-%D9%81%D9%8A-%D9%87%D8%B0%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D8%B2%D9%85%D9%86>

References

- 1-abin manzur,muhamad bin makram bin ealaa, 'abu alfadali, jamal aldiyn abn manzur al'ansarii alruwayafeaa al'iifriqaa almutawafaa: 711h.)
muejam lisan alearab,(1414hi) ja13 tabeat : dar sadir- bayruta, altabeat althaalitha .
- 2-albarghuthi, tamim , diwan (fi alqudsu), dar alshuruq.
- 3-mukhtar eumura, 'ahmad , (1997),allughat walluwn,ealam alkatab, masira- alqahirat , altabeat althaaniatu.



4-mukhtarieimra, 'ahmad , 'alfaz al'alwan fi allughat alearabiati, almajalat alearabiat lileulum al'iinsaniati, aleadad al'awal (sa9-s29).

5-shhadatu, nusrat, (2013), allawn wadalalatum fi shier albihtri(rsalat majistir), 'iishrafi: alduktur husam altamimi, 2013.

6-talu, muhyi aldiyn, (1961),alrasm wallawn, dar dimashqa, du.ti.

7- nashwan, husayn ,(2004),almuejam allawni fi shier eizi aldiyn almunasirati, majalat 'afkar , wizarat althaqafat - al'urduni , e 189-tamuzi.

8-nufli, yusuf hasan,(1985), alsuwrat alshieriat wastiha' al'alwan, dar alnahdat alearabiati.

9-<https://www.arageek.com/bio/tamim-al-barghouti>

10-

<https://blogs.aljazeera.net/blogs/2019/11/25/%D8%AA%D9%85%D9%8A%D9%85->

<https://blogs.aljazeera.net/blogs/2019/11/25/%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B1%D8%BA%D9%88%D8%AB%D9%8A-%D8%A8%D9%82%D8%A7%D9%8A%D8%A7->

<https://blogs.aljazeera.net/blogs/2019/11/25/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AA%D9%86%D8%A8%D9%8A-%D9%81%D9%8A-%D9%87%D8%B0%D8%A7->

<https://blogs.aljazeera.net/blogs/2019/11/25/%D8%A7%D9%84%D8%B2%D9%85%D9%86>